صرخة العربي اليوم

بقلم الدكتور شكري فيصل

انا هنا أواجه « هذا » العالم بضفتيه .. ان بيني وبين سطح الارض ، بيني وبين الهواء النقي وبيني وبين الشمس التي تحجبها غيوم آذار هذه السلالم التي انزلقت بها الى « المترو » ، ومع ذلك فان صوتا ناعبا من هنا وصوتا اعجف من هناك يرن في اذني وفي آذان كل هؤلاء الساعين، الرائحين والقادمين ، يقول : انتبه .. انت في المحطة الثانية في القطاع الشرقي او في القطاع الغربي .

***

وانفلت من رفقتي افكر : ما الذي يفصل بين الشرق وبين الغرب ... لقد جئت هنا ، الى برلين ، من مدينتي الوادعة ، الحالمة ، المفكرة التي تحيا بطبيعتها وناسها وحركتها حياة الجامعة .. لكأنها هي الجامعة أناة وهدوءا ، ونظاما وطمأنينة ، واتساع أفق وانتشار حواش .. جئت من هذه القرية ـ المدينة البعيدة وفي نفسي ان اشهد كيف يقف « انسان » الغرب لانسان الشرق ، وكيف تقف « فلسفة » الشرق لـ « فلسفة » الغرب .. كيف يصرخ اولئك وهؤلاء ، بعضهم في وجه بعض ، ان لا .. في كل لحظة ، وفي كل موضوع .. وينسون الانسان الانسان الذي ليس بشرق ولا غرب ، ويتنكرون للانسانية الانسانية التي ليست كذلك شرقا ولا غربا ، يتنكرون لهذا الانسان الذي وهبهم جميعا ، هو .. من الاسود الفاحم في غابات افريقيا الى الابيض الناصع في مناطق القطب ، وهبهم هو معنى وجودهم .. وينسون الانسانية التي منحتهم قيمة فلسفتهم ومثلهم ... ويفعلون ذلك كله باسم الانسان نفسه والانسانية ذاتها .

ولكني لم استطع ان أشهد شيئا .. لقد فتحت عيني وقلبي ... اطلقت كل قدرة امتلكها .. ولكني لم اجد شيئا من هذا الذي يستطيع «حده» من غير قوة قاهرة او سلطان حاكم ، ان يفصل بين الشرق والغرب .. بلى .. لقد وجدت كثرة من المظاهر والاشكال ، وصافحت عيني كثرة من الخطوط والالوان، كانت هنالك غيرها هنا، وكانت هنا غيرها هنالك .. ولكني لم اعثر على حقيقة واحدة تقول لي في ابانة جريئة وحق واضح : هأنذا .. انا الحد الفاصل بين الشرق والغرب

ومررت بكل الذي يمر به الناس من ظاهرات التحدي او التميز ... استبدلت بالنقد نقدا ، وبالطريق طريقا ، وباسم الدولة اسما آخر لدولة ثانية ، وشهدت العلم هناك ينقلب علما اخر هنا ، وبدت لي انماط من البناء في هذه الوجهة وأنماط اخرى من البناء في الوجهة الثانية .. ولكني ظللت دائما ارى الخرائب هي الخرائب ، والبناء هو البناء.. ظللت دائما ارى السماء هي السماء ، والطريق هو الطريق وان اختلفت عليه التسمية ، والناس هم الناس : الاطفال هم الاطفال ، والشيوخ هم الشيوخ ، والارامل والصبايا هن هن .. والضمير القلق هو الضمير القلق الذي يلوب في الاعماق ، ويتبدى على الوجوه ظلا خفيفا كانما يتساءل في صمت سمعته في كل لحظة وعلى كل وجه : وما هو هذا الذي يفصل بين الشرق والغرب ؟

***

وما كنت شككت لحظة حين بدت لي برلين في ان هنا بعض مراكز الثقل في العالم .. ما شككت في اني سأجد كل مظاهر القوة تقف تتبادل العرض حينا والتحدي حينا ويسترق افرادها العاديون التحية الخافتة المرتجفة في أقل الاحايين .. ولقد سمعت هذا التحدي دعاية وكلاما سكبوه في آذاننا .. هنا وهناك .. في حديث من هذا الذي لقيني هنا قبل ان اجوز الى « الشرق » وفي حديث من هذا الذي لقيني هناك قبل ان أجوز الى الغرب .. وانتفخت اذني ، واحسست بالطنين حين كنت استمع ، ولكني حين رفعت رأسي وخلوت الى نفسي ذابت كل هذه الكلمات ـ حذار ! اريد ان اقول كل هذه الاصوات ـ واحسستها وكأنما كانت ظلا خفيفا باهتا لظل ثقيل ، لم يلبث ان انزاح ، امتصه النور ، وعبثا لم يلبث ان غاله الجد .. لم يبق في ذهني الا هذا السؤال الذي كان يلح علي الحاحا عنيفا متصلا كما تلح الحقيقة على النفس قبل ن تتبدى ، قبل ان تتفجر .. ترى أثمة فاصل بين الشرق والغرب ؟ وأين يكون هذا الفاصل ؟ واوشكت ان اتساءل : ما طبيعته ؟ ما مداه .؟ ولكني سرعان ما وجدتني ، مع الحقيقة التي كانت تتململ تريد ان تتفجر احس ان ليس من فاصل حتى يصح لي ان اتساءل عن طبيعته ومداه

***

وانفلت الرفقة هنا وهناك .. ان في وسعنا حين نعود ان نتبارى في تعداد الفروق .. ان نقيم هذه الفروق بين الشرق والغرب ... ان ننشئها ابداعا ان شئت .. الم يقل هذا الصوت الناعب في « الاونتر باهن » اننا سنجوز منطقة الى اخرى .. ما اسرع الانسان الى التصديق ...

الانسان وسط صالح لعدوى الافكار والخواطر .. انه سيعشق هذا الصوت الناعب من وراء المذياع فى المحطة ، ان كان فى « المترو » ، وسيحفل بهذا الشرقي الواقف كالتمثال عند احد طرفي هذه البوابة ان كان على سطح الارض .. سيحني رأسه يلتمس الفرق حين يمر بين هاتين الضفتين ليجوزهما ، وسيتحسس مواطىء اقدامه .. سيرقب ذاته كأنما هي الاخرى كذلك لها شرق وغرب . ولعله ، هذا المسكين ، يمد يده يتحسس لون ثيابه .. اما قالوا له ان هنا شرقا وهناك غربا .. منذ ان احس الحياة ، وشهد النور ، وتعلم الجهات الاربع ، ودرس التاريخ ، وهم يلحون عليه ان هنالك شرقا وغربا .. ان صوت معلمه فى المدرسة الابتدائية واستاذه فى الثانوي ومدرس الفلسفة ومحاضر الادب فى الجامعة كل اولئك تحيا أصواتهم فى نفسه .. كلها تتواكب لتذكره هذه « الحقيقة » المشوهة ، حقيقة الشرق والغرب المنفعلين ..

أجل كان فى وسعنا ان نجد الفروق .. ان نكتشفها .. ان نتوهمها ان لم نكتشفها ، ان نتبارى فى تعدادها .. كان فى وسعنا ان نقول مثلا ان الانوار كثيرة هناك قليلة هنا ، والنقد خفيف هنا ثقيل هناك ، والخرائب تحاول ان تسترها الابنية في هذه الناحية والابنية تخترقها الخرائب فى هذه الناحية الاخرى ... ان هنا الجامعة القديمة وهنا الجامعة الحديثة .. هنا .. هناك .. كان فى وسعنا ان نقول اشياء كثيرة من هذا القبيل ، ولكنه لم يكن فى وسعنا قط ان نقول شيئا له قيمته .. اننا حين نخرج من اسار هذه الخطوط الضيقة ، من محبس هذه الالوان ، فان شيئا واحدا فى وسعنا ان نقوله مطمئنين اليه: ترى أين يبدأ « هذا » الشرق ، وأين يبدأ « هذا » الغرب ؟

***

كذبت اللافتة .. ان نسمة هواء تطيح بها .. والبوابة أكذوبة حجرية ضخمة بالرغم من مظاهر القوة وراءها وأمامها ... والصوت الخشن فى محطة « المترو » يستطيع ان يعيد الجملة نفسها فى كل قطعة من قطع الارض ... ما أسهل ان تقال الكلمة ان لم يكن وراءها حقيقة ، وما أصعب الكلمة تقولها ان اردت ان يكون وراءها ، فيها ، كل الحقيقة ... كذبت الحدود والنقود والاعلام .. فالذي اراه فى الشرق هو هذا الانسان والذي اراه فى الغرب هو هذا الانسان نفسه .. فى عينيهما معا صفاء .. على خديهما معا حمرة امل ... فى حركتهما معا هذه الحركة التي تهدف نحو المستقبل ... فى بسطة اليد بسطة الرجاء ، فى فتحة العين الافق المتفتح ، فى التحية التي تلقاها وتلقيها تحية الغد الذي لا يعرف البوابة التي قالوا انها تفصل بين الشرق والغرب ... ولا الاعلام الملونة ولا النقود الزائفة التي تحاول التمييز بينهما .. ولا الحدود التي تحول بين نصف العالم ونصف العالم ذاته .. أعني النصف ذاته والعالم ذاته .. ان الجامعة هنا ليست فى حقيقتها ، خصما للجامعة هناك .. البناء يتحدى البناء .. ولكن يظل هذا الشاب القابع فى جامعة « همبولت » هو اخ للشاب الآخر الذي رأيته قابعا وراء كتلة الضوء المتجمع فى مكتبة « الجامعة الحرة » .. بل لعله هو هو .. لعله هو الذي قد القاه أيضا فى اقصى هذا الجانب او ذلك من الارض .. انهم ليسوا اعدادا متناكرة جامدة ، ولكنهم اعداد متكاملة حية .. انهم كذلك كتل من النور تريد ان تتجمع من كل مكان لتقتل الظلمة فى كل مكان

***

وددت لو وعيت ، وانا هنا ، وعيا حقا ما الذي يفصل بين الشرق والغرب ... تذكرت كل الذي اعرفه من مذاهب وفلسفات ، كل الذي اقرأه من جدل ونقاش .. ومرت فى ذهني خصومة اخي وابن عمي ... زميلي وزميلي .. تلميذي وتلميذي الآخر ... ولكن كل شيء من هذه الفلسفات والمذاهب كان يتوارى حين تتقدم صورة الانسان الذي ننشده فى بساطة وعفوية ، فى وطننا ، صورة الحضارة او مثلها التي نريد ان نعمل لها .. ان هذا الانسان ـ المستقبل لينكر وليلح في الانكار ان يختلف اولئك وهؤلاء فى ادعائه او فى الدعوة له .. ان هذه المثل كذلك لتنكر ولتلح فى الانكار ان تكون سببا فى ان يتنابذ اولئك وهؤلاء من حولها ... ان الانسان ، والمثل ، والمستقبل هذه كلها لا يمكن ان تتبدى من خلال التحدي ، وسيعتصي انسان على انسان الحاضر ان ظل يفهم الانسان على انه شرق وغرب ، والانسانية على انها شرق وغرب ... ذلك لان الحضارة ـ التي تتمثل بها الانسانية تمثلا ماديا وفكريا ـ واحدة فى

رائد البكالوريا

اول سلسلة من نوعها فى اللغة الغربية ، تهدي طالب البكالوريا وتساعده على السير فى غياهب الامتحانات، فيحكم الاجابة ويتقن صياغة الموضوع. صدر منها خمسة اجزاء في الادب العربي، وجزآن فى الادب الفرنسي .

موضوعات جاهزة مدروسة

موضوعات مخططة ملخصة

أسئلة للتوسيع

قال عدد من الناجحين انهم مدينون لرائد البكالوريا فى نجاحهم

اطلبه من جميع المكتبات ومن دار العلم للملايين

اطلبوا « الاداب »

في الدار البيضاء (مراكش)

من

مكتبة الزيات

شارع مناستير ١١٨ – ١١٦ – ١١٤

مفاهيمها الكبرى تقوم جوانب منها في كل ارض لتلتقي التقاء منظما رائعا حول قمة واحدة هي هذا الانسان .. الانسان الذي لا ينكر جانبا من هذه الجوانب ولا يقوم بعضها باكثر مما يقوم بعضا آخر .. لانها كلها تعاون مطلق في سبيل انسانية رفيعة .

***

اسطورة ضخمة هذا الذي يقال عما بين الشرق والغرب او كذلك نحب نحن من وطننا ان نرى .. فالعالم اليوم بالرغم من كل هذه الحدود التي اراها هنا بعيني ، او التي تتراءى لي في ذهني في مناطق اخرى من مراكز الثقل كما يسمونها – هذا العالم وحدة .. وحدة في قاعدته .. ليكن ما يكون من امر الرؤوس الحاكمة فيه ، انها تضللها شهوة الحكم ، انها تركب الحكم لتقوده فتركبها شهوة الحكم لتقودها .. ليكن ما يكون من امر الرؤوس « المتفلسفة » فيه .. انها تضللها في بعض الاحيان اوهام « التفكير » فتظن انها بيدها الزمام كله على حين ليس في يدها شيء او في يدها بعض الشيء .. ان حس الانسان السليم الذي اعرفه في وطني ، في مدينتي، في حيّي، والذي أراه في كل مكان – هذا الحس ، هذه القاعدة الضخمة المنبسطة من أقصى الشرق الى اقصى الغرب – هو هذه الوحدة ... الانسان الذي يقول لاخيه : هات ما عندك ، لا لتحاربني به بل لتستنقذني ... لا لتستعمرني بل لتعينني على الاعمار ... هات ما عندك فقد يكون هو الذي عندي ، وقد يكون غير الذي عندي ، ولكن الحياة ليست لي وحدي ولا لك وحدك ... أنا وانت في هذه اللحظة العابرة من الزمان .. ولكن الحياة لكل هذا التيار البعيد الذي المحه وتلمحه عبر الافق والذي سيتدفق من بعدنا ... فلنعلم هذا التيار المقبل المتدفق كيف يجد مثله دون ان نضرب عليه ، منذ الآن ، بالاسداد .

ان العالم اليوم في أعماقه ، في ضمائر اهله ، وحدة ليس وحدة مذهب ولا لون تفكير ، ولكنه وحدة الانسان ليتعاون مع الانسان ... ووحدة الناس ليتعاونوا مع الطبيعة ، والوحدة مع الطبيعة لتمجيد هذا الكائن الاعلى ، جوهر الوجود .. كذلك نحن في وطننا وفي الاوطان الاخرى من حولنا .. فمن الذي يستطيع ان يقول لي اين يقع الشرق والغرب من وحدة هذه الملايين ، وملايين الملايين التي وراءها ؟

***

ما اقسى المغالطة في منطق الشرق والغرب حين يصطنعان الحدود ؟.. انهما من سعادة الانسان يبتدآن ، واليهما يريدان ان ينتهيا .. ولكن الانسان يحس انه يعيش مع هذه الحدود في جحيم من القلق والافكار لانه يحس انه لا يندفع اندفاعا حرا صرفا في طريق « الجنة » التي ينشدها في الدنيا ، لا الجنة التي ينشدها في الآخرة .. ان حسه السليم كفيل ان يندفع به ، ان يقوده ، في طريق المستقبل الباسم ، فلِمَ تقام الحدود باسم هذا المستقبل الباسم ؟ اهي حدود بين الشرق والغرب ، ام هي حدود بين الانسان وبين هذا المستقبل ؟. واذا كان الهدف واحدا فكيف تتناكر الوسائل هذا التناكر حتى ليكون العالم عالمين والمدينة مدينتين والامة الواحدة ، كأمتنا ، عشرات من الحكومات ، والانسان انسانين ... اي عقبات تبدو يستنبتها الشرق والغرب في طريق الانسان ثم يقول انها من اجل الانسان ؟!

***

ومر قطار وقطار ، وانتقل الناس هنا وهناك .. ولكني لم اجاوز مكانيَ هذين .. لقد ظللت استمع الى تساؤلي هذا الذي تملكني في مئات من الصيغ والاشكال .. بدا لي كأنه كل شيء ارى واسمع واحس .. وجدته امامي على المنضدة ، وقرأته في وجه هذا الفتى الذي يحمل الي فنجانا من القهوة .. واحسست كأنما الحمرة المتوهجة في وجه هذه الصبية الصبيحة تصوغه بارقا حادا حارا ،.. ونظرت حولي ، لكأن هذه الشعور الذهبية المتألقة ، هذا الذهب المنثور شعورا حية ، لكأنها هي ايضا تضفر احرفا ونقاطا ، وتنسكب سؤالا ، سؤالا وجوابا هذه المرة .. ان كل ما حولي كان يقودني الى السؤال ، وكل ما حولي كان يقودني الى الجواب ايضا ... ويضع يدي ، وانا هنا ، على هذه الحقيقة البسيطة التي ننطلق فيها في وطننا ، في عالمنا الجديد ... والتي اود لو ننطلق منها جميعا حتى نستطيع ان نزيل هذه الحدود ، ان نلطف من وقعها .. هذه الحقيقة هي ان حاضر البشرية ليس نقطة انتهاء .. انه نقطة من خط سير البشر بالبشر ... ومن يدري فقد يكون بعض نقاط الابتداء .. فليس لنا ان نجحر هذا الحاضر ، ان نقول انه

اوسكار وايلد

قصة اروع عشق عرفه شاعران !

تأليف : موريس روستان

ترجمة : الياس ابو شبكة

دار المكشوف بيروت

غاية الغايات ... فما أخصب الغايات .. محال ان نكون في قمة التطور ، اننا نحبو على سطوحه الاولى .. فلندع للناس في الشرق والغرب ـ اريد ان أقول دفعا لهذا التضاد في العالم كله ـ ان يتابعوا الطريق ... ومحال محال ان تنعكس الانسانية فلا خوف عليها من الردة لان خط الحياة دائما الى الامام والى الاعلى ... افليست الانسانية اذن كلها جديرة ان تمضي مطلقة من هذه الحدود القائمة بين الشرق والغرب .. اليس انسان هذه الانسانية الذي وهب الله اسمى شيء حين وهبه العقل المتضح ابدا والمتطور دائما ـ قادرا على ان يرأب هذه الصدوع بين الشرق والغرب وان يصل ما انقطع بينهما ، وان يخرج على الناس بالجديد؟. واذا كان جديد العلم متوقعا في كل لحظة فلم لا يكون كذلك جديد الانسانية ، أعني طريق الانسانية بالناس !!

***

اني اجلس هنا اكتب ... ان حرفي هذا العربي ليتنفس في هذا الجو بعد ان احتبس ... بعد ان كتب كثيرا من غير كلمات ولا ورق ... انه ليبرق في عيني وفي قلبي بهذه الخطوط والنقاط الحلوة فيه ، وانه ليصوغ كل اماني واحلامي ، كانسان جاء من هناك ، من بلاد العرب .. من البلاد التي تسير على جمر من الرمل والحصى ، وتخوض بركا من الدم ، دمها ، دم فتيانها وكهولها ، وتلعق جراحها لتتابع السير في طريق الغد المشرق .. انسان عربي تتفجر نفسه كلها هنا بكل الذي يتفجر في نفس اخوته ومواطنيه هناك من ورائه ، انسان اليوم الذي لم يعرف هناءة اليوم ولذلك يبشر مخلصا بانسان الغد .. انسان يصرخ ان أتيحوا الاتصال حتى تحقق الانسانية كل ابعادها ... فما يزال من امامها ابعاد كثيرة جديرة بتحقيقها ... وهي ابعاد من وعد الله لها.. ان حدودكم ، على جانبيها، ليست عرقلة مادية فحسب ولكنها عرقلة ذهنية وشعورية لهذه القوافل الانسانية التي تنحدر من هنا وهناك ، من الهضاب والغابات في آسيا وافريقيا تريد ان تكون الدنيا الجنة على الارض لا تجربة الجحيم في الارض .

مرة اخرى سألتني ما الذي يفصل بين الشرق والغرب، ووجدتني لا اعي فاصلا .. بلى اني لاعي فاصلا واحدا هو هذا الذي يفصل بين الانسانية وبين مستقبلها الامثل ، المستقبل الذي لي هو لي ولك ، لابني ولابنك .

لقد عرفت الانسانية في تاريخها الطويل سدودا ضخمة قد لا يكون اولها سد الصين ، ولكن السدود انهارت وبقيت الانسانية .. افلا تنهار هذه القرون بين الشرق والغرب حتى نستطيع ان نشق طريقنا في غير تجاذب ولا دفع ، في غير تعويق ولا اثارة ؟.. افلا تنهار هذه القرون لتبقى هذه الانسانية التي امرت بها يا رب ! افلا تذهب الالوان ليبقى لون الارض والعالم والانسان ؟

شكري فيصل

برلين « في محطتين متجاورتين من القطاعين »

أوراس ..

عنوان أبي :
قمة اوراس
فرقة طارق
والافق رصاص
ودم تسبح فيه زوارق
وشظايا خوذ وبنادق
تتطاير مع أشلاء سود
كانت تتوعد يوما ما اوراس
والليل سدود وخنادق
وعيون تتحدى الظلمة
وشفاه تهمس يا الله
فتردد همستها القمه
وتصب على الليل صواعق
« لذريق » يموت على قدمي « طارق »
« لذريق » يموت
فلتدفن « مدريد » الرمه
ولتصنع « باريس » فيالق
والليل كفيل بالانباء
باريس صبايا وعذارى تشكو الوحده
تتلوى في حضن القلق المجنون
وفراغ الخمارات سؤال
أين الرواد ؟!
ما عادوا للشرب الليله ؟
شربوا سلفا نخب العودة !!
و « السين » حنين
يترقب عودة نابليون
ما عاد الجيش ولا القائد
اكلتهم أوراس الثوره
يا بركان الارض الحره
يا لهب الآهات المره
أقسمت بمن كي تتحدى باريس
بالماضي أم بالحاضر يا بركان .. ؟؟ ..

القاهرة **أيوب طه**